



# عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً

إعداد الباحثة:

مزنة بنت عبد الله بن عبد العزيز البهلال

للعام الجامعي ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رسالة ماجستير

في الأدب العربي



شمس الدين درمش

بدأت الباحثة مزنة البهلال رسالتها ببيان مكانة الدكتور عبد الرحمن الباشا الأدبية والنقدية والعلمية، وأنه أحد أعلام الأدب، ورموز الفكر، الذين حملوا هموم الأمة، وحاولوا بعث نهضتها، وأن شخصية بهذه المكانة جديرة بأن تدرس مؤلفاته، وتحلل بنات أفكاره؛ لإبراز ما فيها من خصائص فنية وفكرية سامية، وثروة علمية كبيرة. ومن ثم كان اختيار موضوع بحثها «عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً» لرسالة الماجستير.

وذكرت من دوافعها لاختيار هذا الموضوع ما يأتي:

١- مكانة الباشا العلمية، وعبقريته الأدبية، التي تولد عنها مجموعة من الأعمال المهمة، منها: أرض البطولات، والراية الثالثة، وهي أعمال روائية، ومنها: علي بن الجهم، وأدب الرحلة المتمثلة في شعر الطرد، وهي من الأعمال الأدبية النقدية.

٢- رصده الرائع لتاريخ الإسلام العظيم، وأحداثه الجسام من خلال تتبعه لصور البطولة عند الصحابة والصحابيات، والتابعين في أسلوب أدبي بليغ لم يعدم عناصر الرواية.

٣- المنهج التربوي الذي اتبعه في كل مؤلفاته، كان يهدف من ورائه إلى إضاءة شعاع من نور أمام الشباب والمتطلعين لصحوة الأمة ونهضتها.

٤- الاتجاه الإسلامي الذي حرص عليه الباشا في أدبه، ونجح من خلال التمسك به في الإسهام بإنشاء رابطة للأدب الإسلامي، التي صار الباشا نائباً لرئيسها، وكان من نتائجها إنشاء مقرر جديد يدرس في الجامعات، وهو «الأدب الإسلامي».

٥- ما حبا الله به الباشا من تنوع في مصادر ثقافته، وتعدد في منابع تعليمه، فما بين التلمذ على عباقرة المدرسة الخسروية بحلب، إلى التزود من الثقافة الإسلامية في الأزهر الشريف على يد علمائه الأفاضل، إلى تلقي العلم في جامعة القاهرة على يد كوكبة من العلماء، إلى تتيمم الفائدة، وخاتمة المطاف في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مما شكل تلك الصورة المشرقة، وذلك الكيان الكبير.

٦- ما حواه أدب الباشا من مواطن غنية تستحق البحث والدراسة، وتستوجب التحليل والتقيب، وتكشف - من خلال منهج علمي سديد - عن أهم سمات هذا الأدب وخصائصه، كما تبرز عن عوامل التأثير والتأثر فيه... وغيرها:

فكانت هذه الدراسة، محاولة لإنصاف هذا الكاتب، واعترافاً بفضلته وحقه في مجال الأدب، إذ لم يحظ موضوع «عبد الرحمن رأفت الباشا ناثراً» بدراسات سابقة - في حدود اطلاع الباحثة - باستثناء بعض المقالات التي كتبت عنه في بعض المجلات والصحف.

وقد اختصت هذه المقالات بتناول أجزاء بسيطة من حياة الباشا، وإشارات سريعة إلى ما تحدث عنها الباشا في «صور من حياة الصحابة»، وصور من حياة الصعاليات، وصور من حياة التابعين»، دون المساس بالجانب الروائي عند الكاتب، أو الناحية الفنية في كتاباته، وهو ما انفرد به هذا البحث الذي جاء مركزاً ومختصاً بالجانب النثري ودراسته دراسة فنية، مما يؤكد أن أدب الباشا ظل بعيداً عن ملامسة أيدي الباحثين، والدارسين.

وانتهجت الباحثة في دراستها المنهج المتكامل، معتمدة على المنهج الفني في الفصل الثاني عند دراسة «البناء الفني للسيرة»، والفصل الثالث عند دراسة «البناء الفني للرواية»، مع الاستعانة بالمناهج الأخرى كالمناهج التاريخية والاجتماعية عند دراسة حياة الأديب وآثاره، والمنهج النقدي عند دراسة اتجاهات أدبه.

وقد حرصت على استقصاء المعلومات الصحيحة المتعلقة بحياة الباشا ونشأته من خلال الاتصالات المتكررة بابن الباشا الأكبر «يمان» بالإضافة إلى زيارة والدها

«سوريا» ومنطقة «أريحا» ومقابلته بعض أقارب الباشا، والإفادة منهم في بعض المعلومات المتعلقة بسيرته الذاتية، وغير ذلك.

وقد سار البحث على خطة اشتملت على ثلاثة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد، ويعقبها خاتمة.

فتناولت في التمهيد: حياته وآثاره.

وفي الفصل الأول: كان الحديث عن (اتجاهات أدبه)، ويشتمل على: الاتجاه الديني، والاتجاه الإنساني، واتجاه البطولات الإسلامية، واتجاه القيم التربوية.

أما الفصل الثاني: فكان (البناء الفني للسيرة)، وجاء في أربعة مباحث، وهي: الحدث، والشخصيات، والزمان والمكان، والأسلوب.

وفي الفصل الثالث: كان (البناء الفني للرواية)، وجاء في ستة مباحث، وهي: الحدث، والشخصيات، والحوار، والزمان والمكان، والسارد، ومستويات اللغة.

وخلصت من ذلك إلى (الخاتمة)، التي احتوت أهم ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج وتوصيات.

## النتائج والتوصيات

### تقول الباحثة في الخاتمة:

فقد كانت الرحلة طويلة ومجهد، ولكنها ممتعة مع الباشا ونتاجه الفني الأدبي، وأشهد أنها رحلة أفادتني كثيراً... وساعدت بشكل مباشر على تكويني العلمي، والأدبي والفكري، وذلك لما حواه هذا النتاج من قيمة أدبية رفيعة، وما حمله لنا ولقرائه من مبادئ إسلامية عالية، وما دعا إليه من مثل وإشارات أخلاقية وسلوكية ترجمتها الشخصيات العظيمة التي عرض صوراً مشرقة من حياتها.







وخلصت الباحثة في النهاية إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها:

١- تأثير البيئة الدينية والثقافية، والاجتماعية في الكاتب. وقد ظهر بشكل واضح أثر التربية الدينية في مؤلفات الباشا من خلال انتقائه لموضوعات مؤلفاته، وتناوله للأحداث، واقتباساته القرآنية والنبوية، من خلال عرض فني رائع وأسلوب أدبي رفيع.

٢- إثبات نتاج الباشا الأدبي، ونضج تجربته في ميدان القصة والرواية، وتوافر المقومات الفنية والموضوعية في أدبه.

٣- دراسة نتاج السيرة عند الباشا دراسة فنية شاملة كشفت عن عناية الكاتب بالسيرة وصياغتها صياغة أدبية فنية نادرة، تجمع المتعة والفائدة إلى جانب الصياغة والربط الفني الرائع.

٤- أبانت الدراسة عن تأثير الكاتب بالأحداث السياسية في سوريا زمن الاحتلال، وهذا ما كشفت عنه رواياته «أرض البطولات» و«الراية

الثالثة» من معاشة للأحداث، وتعبير عن الواقع. ٥- أثبتت الدراسة أن الباشا له منهج يعتمد على الأبعاد المختلفة في رسم الشخصيات، ففي بعض السير يركز على البعد الجسمي، وفي بعضها الآخر يركز على البعد النفسي، وفي بعضها الآخر يركز على البعد الاجتماعي؛ ولعل ذلك التعدد والاختلاف راجع إلى تلك الشخصية وما يميزها عن غيرها.

٦- أبانت الدراسة أن الباشا استخدم الزمن بصورة مباشرة واضحة مقترنة بالحدث، وقد سار الزمن عنده وفق تقنيات أربع هي: الخلاصة والحذف

وتختصان بتسريع السرد، والمشهد والوقف، وتختصان بإبطاء السرد.

٧- كشفت الدراسة عن موقف الكاتب من الأحداث والشخصيات في السيرة، فلم يكن الباشا - رحمه الله - مؤرخاً ينقل المواقف والأحداث كما هي؛ لكنه كاتب قصة يحاول بعث الحياة في المواقف والأحداث المختلفة، عندما وقف على ما وراء تلك الأحداث من دروس وعبر، وعلى أثر تلك الشخصيات في ذلك الزمان والمكان، وعندما صور تلك الأحداث، وتلك المواقف تصويراً حياً مؤثراً يعيد إليها الحياة.

٨- حدد الباشا من خلال المكان والزمان أبعاد الحياة الروحية، والاجتماعية، والسياسية، في ذلك العصر. واتضح لنا من خلال الدراسة أن الكاتب وثيق الصلة بالعناصر البنائية في الرواية، فقد ولد في ذلك المكان، وعاصر زمن الاحتلال، وتأثر بالأحداث التي وقعت، كما كان قريباً من شخصياته، فنحن نلمح شخصية الباشا وكثيراً من صفاته العsamية



د. حسين علي محمد

في شخصية «عبادة».

٩- كشفت الدراسة عن الأسلوب المتميز الذي انفرد به الباشا عن غيره من كتاب السيرة والرواية، وهو ميله إلى الأسلوب البياني، الحافل بالصور البيانية والمحسنات البديعية.

١٠- أبانت الدراسة عن اللغة العالية الرفيعة التي استخدمها الباشا، وانتقى مفرداتها بعناية، وتعامل معها بحرفية شديدة، هدف من ورائها إلى إحياء ألفاظ اللغة وبعث الحياة فيها، رغم استخدامه بعض الألفاظ الغريبة في مؤلفاته.

## الباشا وأدب الدعوة الإسلامية<sup>(\*)</sup>

عبدالله الجعيثين - السعودية

«اللهم إني أحببت صحابة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم  
أصدق الحب وأعظمه؛ فهبني يوم الفرع الأكبر لأي منهم؛ فإنك  
تعلم أنني ما أحببتهم إلا فيك، يا أرحم الراحمين».

تتصدر هذه الكلمة الجميلة كل طبعة من السلسلة الرائعة  
صور من حياة الصحابة لأستاذنا المرحوم الدكتور عبد الرحمن  
رأفت الباشا، والذي قدم بهذه السلسلة قدوة مثلى لناشئة هذه  
الأمّة، مصورة من حياة الرعيل الأول، بأسلوب أدبي متوهج،  
وعاطفة حارة صادقة...

والدكتور الباشا له إسهام متواصل في الدعوة إلى الله،  
مذ كان مشرفاً على موسوعة أدب الدعوة الإسلامية شعراً  
ونثراً، والتي أعدها طلبة السنة الرابعة بكلية اللغة العربية  
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد صدر منها  
أسفار ضخام، لقيت صدى جميلاً في العالم الإسلامي، وكان  
رحمه الله متحمساً لها، يبذل لها وقته وجهده، ويقف مع أنبائه  
الباحثين فيها موقف الأب الرؤوم...

كما كان أثناء التدريس - وأنا أحد طلبته - يبيت الثقافة  
الإسلامية في حصصه، وخاصة حين يخرج عن الموضوع، وما  
أجمل خروجه عن الموضوع! ذلك ما كنا ننتظره، فقد كان يزودنا  
بتجارب ومعالِم تساق بأسلوب فني، وتعرض بشكل طريف...

كان - رحمه الله - يدرّسنا مادة النقد الأدبي بكلية اللغة  
العربية، ولعل له الفضل في إدخال هذه المادة إلى الكلية، بعد أن  
كانت جزءاً من البلاغة فقط، وكان أسلوبه عربياً فصيحاً يمتاز  
بالروعة التي تجعل الآذان تصغي، والعيون تلمح، والوجدان  
يستقبل، والعقل يستمع ■

(\*) مجلة الدعوة، الاثنين ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ، الموافق أول سبتمبر

١٩٨٦م.

١١- وأخيراً كشفت الدراسة عن نجاح

الباشا في تحقيق الهدف المنشود من وراء تلك المؤلفات وأهمها ما يأتي:

- وضع التصور الكامل لمؤهلات البطولة وبواعثها من خلال عرض رائع لنماذجها في العصور الزاهية.  
- إبراز الجوانب المضيئة في تاريخ الأمّة وانتقائها في مختلف العصور لضرب المثل، وبعث الأمل، وترك اليأس.

- أن البناء الحضاري للأمّة ممكن بشرط أن تأخذ من ماضيها لحاضرها، ومن تراثها لمعاصرتها، وأن تسترشد بقيم ومبادئ أسلافها وعظمائها.

وإن كان ثمة توصيات، فهو التوجه صوب القيم التربوية في مؤلفات الباشا، وإبرازها من خلال دراسة مضامين بعض الأحداث والمواقف، والوقوف على تلك القيم التي اكتظت بها مؤلفاته.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الاتجاه نحو الدراسات الإسلامية، وما يستفاد منها من مبادئ، وقيم ومثل، والتي اعتنى بها الباشا اعتناء خاصاً يجب أن يهتم به الباحثون من خلال تتبع الدراسات المماثلة عند كتاب إسلاميين آخرين.

وقدّمت الرسالة ونوقشت في قسم الأدب من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وأشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور:

حسين علي محمد - رحمه الله ■

١١- وأخيراً كشفت الدراسة عن نجاح الباشا في تحقيق الهدف المنشود من وراء تلك المؤلفات وأهمها ما يأتي:

- وضع التصور الكامل لمؤهلات البطولة وبواعثها من خلال عرض رائع لنماذجها في العصور الزاهية.  
- إبراز الجوانب المضيئة في تاريخ الأمة وانتقائها في مختلف العصور لضرب المثل، وبعث الأمل، وترك اليأس.

- أن البناء الحضاري للأمة ممكن بشرط أن تأخذ من ماضيها لحاضرها، ومن تراثها لمعاصرتها، وأن تسترشد بقيم ومبادئ أسلافها وعظمائها.

وإن كان ثمة توصيات، فهو التوجه صوب القيم التربوية في مؤلفات الباشا، وإبرازها من خلال دراسة مضامين بعض الأحداث والمواقف، والوقوف على تلك القيم التي اكتظت بها مؤلفاته.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الاتجاه نحو الدراسات الإسلامية، وما يستفاد منها من مبادئ، وقيم ومثل، والتي اعتنى بها الباشا اعتناء خاصاً يجب أن يهتم به الباحثون من خلال تتبع الدراسات المماثلة عند كتاب إسلاميين آخرين.

وقُدمت الرسالة ونوقشت في قسم الأدب من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وأشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور:

حسين علي محمد - رحمه الله ■